

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[156] الأرض لا تتناسب مع الفساد وسفك الدماء. مسألة "تعليم الأسماء" لآدم التي سيأتي شرحها، وهكذا سجود الملائكة لآدم من أدلة ما ذهبنا إليه في تفسير معنى الخليفة. الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) يشير أيضاً إلى هذا المعنى في تفسير هذه الآيات إذ يقول: "إِنَّ الْإِنْسَانَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَّمَ آدَمَ أَسْمَاءَ حُجَجِهِ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ وَأَرْوَاهُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أُنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ فِي الْأَرْضِ لِتَسْبِيحِهِمْ وَتَقْدِيسِهِمْ مِنْ آدَمَ فَقَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْزَلْتَ الْعِلْمَ الْحَكِيمُ قَالَ الْإِنْسَانُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَقَفُّوا عَلَى عَظِيمٍ مَنَزَلٍ لَتَتَّهِمُوا عِندَ الْإِنْسَانِ ذِكْرُهُ فَعَلِمُوا أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِأَنَّهُ يَكُونُوا خُلَفَاءَ الْإِنْسَانِ فِي أَرْضِهِ وَحُجَجِهِ عَلَى بَرِّيَّتِهِ ثُمَّ غِيَّبَهُمْ عَنْ أَبْصَارِهِمْ وَاسْتَعِيدَهُمْ بِرُؤْيَايَتِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ نَزَّيْتُ أَعْلَامُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَامُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ" (1). ثم تذكر الآية سؤال الملائكة الذي وجَّهوه لرب العالمين مستفسرين لا معترضين: (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)؟ [سبحانه أجاب الملائكة جواباً مغلقاً اتضح في المراحل التالية: (قَالَ إِنْ نَزَّيْتُ أَعْلَامُ مَا لَا تَعْلَمُونَ). الملائكة كانوا عالمين - كما يبدو من تساؤلهم - أن هذا الإنسان موجود يفسد في الأرض ويسفك الدماء، فكيف عرفوا ذلك؟! قيل إن [سبحانه أوضح للملائكة من قبل على وجه الإجمال مستقبل الإنسان، وقيل إن الملائكة فهموا ذلك من خلال عبارة "في الأرض"، لأنهم علموا أن هذا الإنسان يخلق من التراب، والمادة لمحدوديتها هي حتماً مركز

1 - "الميزان" ج 1، ص 121. نقلا عن معاني

الأخبار، وهذا الحديث وإن كان يوضح أكثر مكانة الأنبياء والأئمة - لا ينحصر بهذه الصفوة المقدسة بل إنهم المصداق الأتم والأكمل لهذا الموضوع.